الملك والبشر انتهى ومما يدل لافضليته عليه الصلاة والسلام
على جميع المخلوقات ايضا ان امته افضل الامم لقوله تعالى كنتم خير
امة اخرجت للناس الاية وقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
اي عدولا ولا شك ان خيرية الامم بحسب كمالهم في الدين وذلك
تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه فتفضيل الامة من حيث انها امة
تفضيل للرسول الذي هم امته ولانه مبعوث كما سياتي الى الثقلين
وانه خاتم الانبيا والرسل وان معجزته الظاهرة انما هي في
باقية على وجه الزمان وان شريعته ناسخة لجميع الاديان وان
شهادته قائمة في القيامة على كافة البشر الى غير ذلك من
خصايصه الخارجة عن الحصر وقوله تعالى ورفع بعضهم
فوق بعض درجات اشارة الى ذلك قال بعضهم ومما يدل
على ذلك ايضا قوله تعالى بعد ذكر جماعة من الانبيا اوليك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهو مامور بالاقتدا بجميعهم
وان يفعل كل ما فعلوه ولا شك انه امتثل والواحد اذا فعل
ما فعل الجماعة كان افضل منهم انتهى وفيه نظر ظاهر والاحاديث
الصحاح في هذا المعنى كثيرة تقدم قال عليه الصلاة والسلام
انا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر فالاستدلال
والاستدلال بقوله عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد ادم
ولا فخر ضعيف لانه لا يدل على كونه افضل من ادم بل من اولاده
انتهى ورده بعضهم بانه يدل بالاستلزام لانه افضل من اولاده
وفيهم من هو افضل من ادم كابراهيم والافضل من شخص افضل
من ذلك الشخص بالضرورة وبعضهم بان بني كذا او ولد كذا في
لسان العرب كثيرا يعبر به عن ذلك النوع فيكون ولد ادم وبنو ادم
كناية عن النوع البشري الشامل لادم ولاولاده ويويده
ما ورد في الصحيح ايضا انا سيد الناس يوم القيامة على ان في
اخر الحديث المتنازع فيه عند الترمذي وبيدي لوا الحمد
ولا فخر وما من نبي يوميذ ادم فمن سواه الا لوايي وهو صريح
في افضليته على ادم فان قلت ففي الصحيح ان رجلا قال له
يا خير البرية فقال عليه الصلاة والسلام ذلك ابراهيم قلت
قال العلما انما قاله صلى الله عليه وسلم هذا تواضعا واحتراما
لابراهيم عليه الصلاة والسلام لخلته وابوته والا فنبينا
صلى الله عليه وسلم افضل كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد
ولد ادم ولم يخصه بالافتخار ولا التطاول على من تقدمه
بل قاله بيانا لما امر بيانه وتبليغه ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم ولا فخر لينفي ما قد يتطرق الى بعض الافهام السخيفة

واجيب

واجيب ايضا بانه قاله قبل ان يعلمه الله بانه سيد ولد ادم وقيل
مراده عليه الصلاة والسلام ان ابراهيم خير البرية الموجودين
في عصره هو واطلق العبارة الموهمة للعموم لانه ابلغ في التواضع
وبه جزم صاحب التحرير وتبعه عليه النووي واعترض الجوابان
الاولان بلزوم اما الكذب واما النسخ وكلاهما في الخبر محال
واجاب القاضي باختيار النسخ وانه يدخل الخبر ان تضمن عبادة
لان الفضايل يمنحها الله تعالى لمن يشا فاخبر بتفضيل ابراهيم
فوجب على من بلغه ذلك اعتقاده الى ان علم افضليته نفسه
عليه فاخبر به فوجب الرجوع اليه ونسخ الاول وبالجملة فهو
تخصيص لقول الاصوليين ان النسخ لا يدخل الاخبار فان
قلت ما حكم اعتقاد افضليته عليه الصلاة والسلام على كل
المخلوقات قلت صرايح كلامهم وظواهرهم كقول النووي ولا بد
من اعتقاد التفضيل مفيدة لوجوبه وانظر ما حكم من لم
يعتقد كذلك فاني لا استحضره الان ولا يبعد تفسيقه
وتبديعه ان اصر عليه بعد العلم واما خرق الاجماع ففيه
ما ياتي فان قلت فما الجواب عما صح عنه عليه الصلاة والسلام
لا تخيروني على موسى وقوله لا تفضلوا بين الانبيا وقوله ما ينبغي
لعبد ان يقول اني خير من يونس بن متى قلت الجواب عن كل ذلك
من وجوه الاول انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل ان يعلمه الله
انه سيد الاولين والاخرين فلما اعلمه الله بذلك اخبر به
الثاني انه صلى الله عليه وسلم قاله تادبا وتواضعا الثالث
ان النهي انما هو عن تفضيل يودي الى تنقيص المفضول الرابع
انه انما نهى عن تفضيل يودي الى الخصومة والفتنة كما هو
المشهور في سبب ورود احاديث النهي الخامس ان النهي مختص
بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها وانما التفضيل هو
بالخصايص قلت على ان المختار عند المحققين من اصحابنا عدم
دخول المتكلم في خطابه قال بعضهم وهو الاصح وعليه فلا
اشكال وبالله التوفيق والى هذه الجملة اشار بقوله اذا عرفت
هذا الحكم المجمع عليه فاجزم به معتقدا لصحته وسل ايها
المخاطب الطالب للحق الراغب في الانصاف عن الشقاق تنبيه
ان المخالف المعتبر ان الشي كان من المخالفين في شي غير شي الاخر
او شي بخلافه غير المجمعين او نقصه اعتبارهم بذلك ووقوعهم
في المشقة وخرق الاجماع لا يجوز لانه ام عليه بمجرد التملك
بظواهر يجب ردها بالتاويل اليه فالحاصل فصيحة ان الجملة
ليست حشوا ان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين يجب ان يعتقد ان رتبتهم في الفضل بعد رتبته

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)